سيحكى تاريخ السجون السياسية فى مصر

حبس قرار تحويل سجن القلعة إلى متحف ٢١ عاما!

سجن القلعة .. أشهر السجون السياسية فى مصر وأشدها قسوة وإثارة للرعب منذ عهد المماليك ، صدر قرار جمهورى فى عام ١٩٨٤ يقضى بتحويله إلى أول متحف يحكى تاريخ - سجن - فى الشرق الأوسط والعالم الثالث ككل . على غرار سجن الكاتراز . بأمريكا والباستيل بفرنسا . ومع ذلك ظل القرار حبيس أدراج البيروقراطية والتخبط الإدارى على مدى عشرين عاماً برغم الاتفاق مع أكثر من جهة لتنفيذه ؟؟!

تحقيق :
أماني عبد الحميد

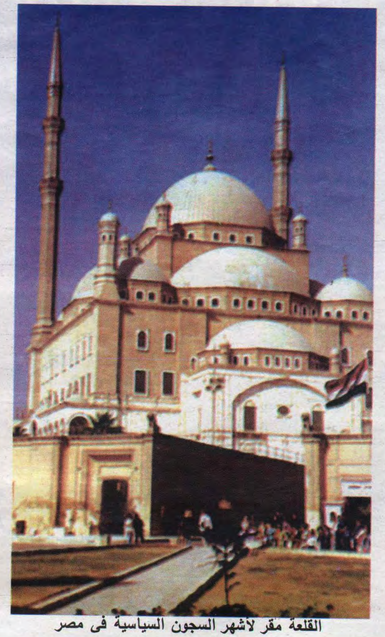

القلعة مقر لأشهر السجون السياسية فى مصر

من المسئول عن تعطيل مشروع تطوير منطقة سجن القلعة وتحويله إلى أول متحف يحكى تاريخ أشهر السجون السياسية فى مصر برغم صدور قرار جمهورى يقضى بتحويله إلى متحف منذ عام ١٩٨٤ ؟؟ ومن المسئول عن حالة البيروقراطية والتخبط الإدارى داخل المجلس الأعلى للآثار والذى أدى إلى وجود أكثر من تصوير هندسى وفنى للمشروع . الأول يجعل زنزانات السجن جزءاً من متحف الشرطة ويضعه ضمن خطة قطاع المتاحف بالمجلس . والتصور الآخر يفصل السجن عن متحف الشرطة ويحوله إلى متحف ومركز للابداع والفنون ضمن خطة صندوق التنمية الثقافية لتطوير منطقة آثار القلعة ككل ؟؟ من المسئول عن تداخل الاختصاصات والسلطات داخل وزارة الثقافة بشكل أدى إلى توقف العمل بمشروع تطوير سجن القلعة وحرم المصريين من وجود متحف يحكى تاريخ أشهر السجون السياسية فى مصر ؟؟ تلك تساؤلات لا تزال مطروحة على مدى العشرين عاما الماضية وحتى يومنا هذا دون أن تجد إجابات شافية !!!

اغتيال حرية الرأي

داخل أسوار قلعة صلاح الدين الأيوبى المبنية فى (٥٧٩هـ) وبالقرب من مبنى مدرسة المدفعية التى بناها محمد على ، تلتف زنزانات سجن القلعة .. أشهر السجون السياسية وأكثرها قسوة والتى لم يقدر أحد على الهروب منه، باستثناء الرئيس الراحل أنور السادات عندما كان معتقلا به فى قضية اغتيال أمين عثمان. أشتهر السجن بأنه رمز من رموز القهر واغتيال حرية الرأى، وباحتوائه أشد وسائل التعذيب قسوة مثل غرفة الفرن .. حيث يدخلها المعتقل ويشعل السجان النيران من أسفلها لترتفع حرارة الغرفة بشكل يحرقه ببطء شديد. وغرفة الحلقات والتى كان زائرها يعلق من أرجله فى السقف بواسطة حلقات معدنية . وغرفة أخرى بها كلاب متوحشة ترهب المقيمين فيها . بل إن كثيرين من زواره لا يزالون يتذكرون حارس «الديدبان» بخطواته الثابتة وهى تدق سقف زنازينهم المظلمة والرطبة والموحشة ليلا، حتى تعتادها آذانهم، وتتلاحق دقات قلوبهم مع تتابع خطواته الرتيبة حتى طلوع النهار دون أن ينقشع الظلام داخل زنازينهم، إلا أن غرفة استقبال القادمين الجدد لا تزال على حالها حتى اليوم . تنتظرهم داخلها العروسة التى يستلقى عليها المعتقل ليتلقى جلدات سوط السجان كبداية تعارفه على المكان المقبل عليه.

● الخديو إسماعيل أول من بنى زنزاناته ومبارك أصدر قراراً جمهورياً بتحويله إلى متحف

ورغم وجود السجن منذ عصر المماليك حيث ارتبط وجود السجن السياسى بقربه من مقر الحكم . وكانت القلعة مقراً للحكم وقتها - إلا أن أول من فكر فى إقامته بشكله الحالى كان الخديو اسماعيل فى عام ١٨٨٤. عندما قام بنقل مقر الحكم إلى قصر عابدين وبنى الزنزانات الشرقية . ثم استكمل بناء الباقى الخديو توفيق، ليستخدم كمعتقل سياسى وسجن للأجانب أيضا خلال عهد المحاكم المختلطة . وظل على حاله حتى أصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا جمهوريا بجعله معتقلا سياسيا عام ١٩٦٨. كما أكد الأثرى عبدالستار يوسف مفتش آثار منطقة القلعة.

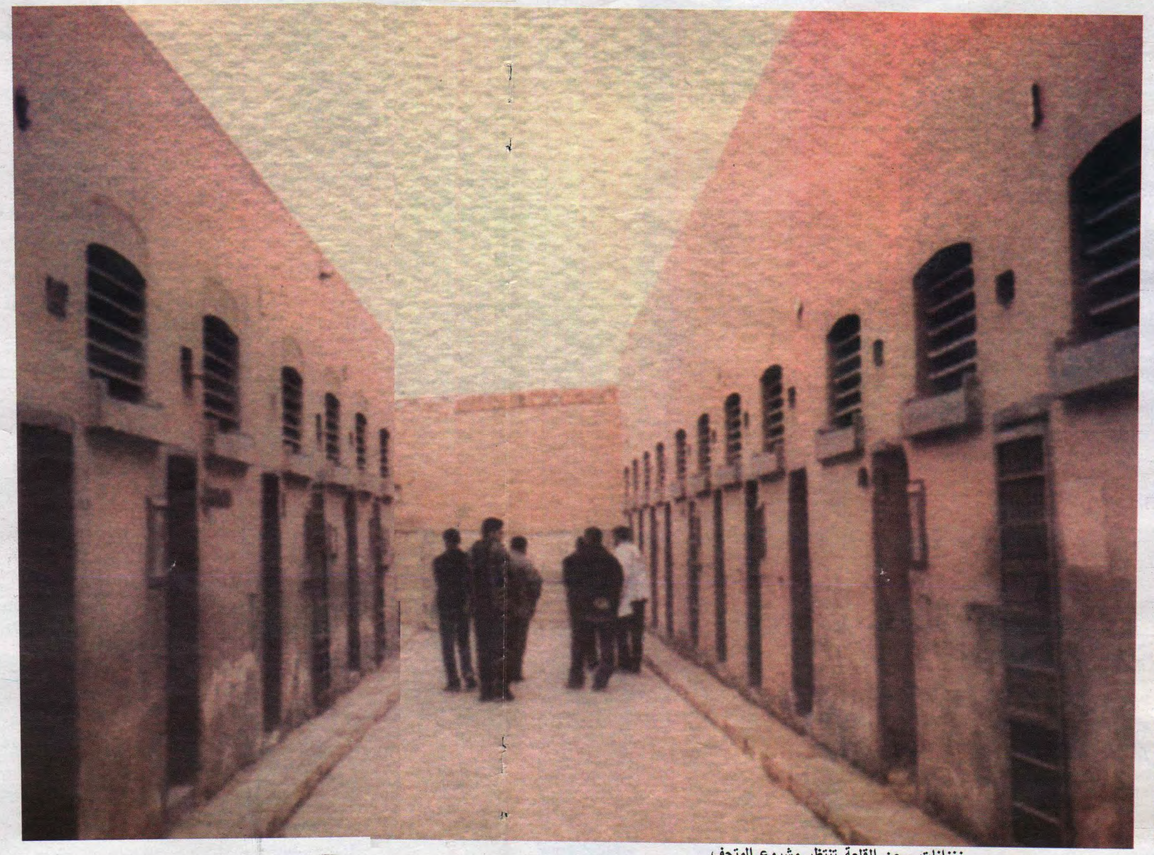

زنزانات سجن القلعة تنتظر مشروع المتحف

● البيروقراطية والتخبط الإدارى عرقلا إتمام مشروع متحف السجن على مدى عشرين عاماً

متحف على ورق

ذلك الحال حتى جاء قرار عام ١٩٨٤ ضى بإلغاء السجن وإخلاء وتحويله إلى أول متحف يحكى نهر سجن سياسى تماماى الولايات المتحدة الأمريكا تم تحويل سجن الكاتراحف على جزيرته فى سان فكو . وسجن الباستيل أحد رم خلال القرن ١٨ فى فرنسا إلى متحف يرمز إلى بداية عرية بعد قيام الثورة الفرنسم عظمة القرار إلا أنه ظل قرارا على ورق . خرج من رئاسة الجمهورية ليقبع داخل أدراج بيروقراطية المجلس الأعلى للآثار - الجهة التى تتبعها منطقة آثار القلعة . تتجدد الآمال مع كل قيادة جديدة ثم تخفت عندما تصطدم ببيروقراطية الموظفين البعيدة كل البعد عن المصلحة العامة .

تغيير القيادات

ففى عام ١٩٩٨ - أى بعد ١٤ عاماً من صدور القرار - عندما تولى الدكتور أحمد نوار قطاع المتاحف بالمجلس الأعلى للآثار ، قرر تفعيل إنشاء سلسلة من المتاحف على مستوى الجمهورية كان من ضمنها متحف الشرطة بالقلعة والذى سيتضمن زنزانات سجن القلعة. وتم تكليف مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية للدكتور عبدالباقى إبراهيم بعمل دراسات إنشائية وتصميمات هندسية وتصور عام للمكان . وللأسف توقف العمل عند حد الرسومات التنفيذية بلا أية أسباب سوى أن الدكتور نوار ترك منصبه فذهب كل ما قرره هباء.

وفى عام ٢٠٠١ عاد الأمل يتجدد - بعد ١٧ عاما من القرار - باسناد المشروع لمكتب هندسى آخر للمهندسين حمدى سطوحى وهانى ماهر وتم تكليفهما من قبل صندوق التنمية الثقافية عندما تولى رئاسته صلاح شقوير لعمل تصور عام للمكان ضمن خطة شاملة لتطوير منطقة آثار القلعة كلها . وبالفعل تمت الموافقة على المشروع من قبل وزير الثقافة فاروق حسنى والدكتور زاهى حواس أمين عام المجلس الأعلى للآثار وحصل على موافقة اللجنة الفنية ، وتوقف عند هذا الحد . ومع نهايات ٢٠٠٥ لايزال مشروع متحف سجن القلعة لايجد من يتبناه أو حتى يتخذ قراراً بإزالة العراقيل التى تمنع من إقامته على مدى ٢٠ عاماً!! وتحرم المصريين من الإطلاع على جزء من تاريخهم السياسى.

الدكتور محمد عبد الباقى إبراهيم مدير مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية أكد أنه تم تكليف المركز فى عام ١٩٩٨ برفع المساحات المتاحة مع دراسة وتحديد الحالة الانشائية لها، والمشكلات التى تعانى منها مع وضع تصور لها. وعن متحف سجن القلعة أوضح أنه كان ضمن مشروع متحف الشرطة . حيث يضم منطقة الزنزانات وغرف التعذيب وغرفة الإعدام. علاوة على مبنى مدرسة المدفعية التى بناها محمد على ومتحف المطافىء والكافيتريا الملحقة. وأشار إلى أن المنطقة تعرضت لترميمات خاطئة مما أدى إلى هبوط أرضية غرفة السلاح الملحقة بمتحف الشرطة. مما تطلب تدخلاً سريعاً وأكد أن المركز وضع تصوراً شاملاً للمتحف على أن يترك سجن القلعة من حوله ليكون مزاراً تاريخياً دون ادخال أية لمسات حديثة عليه. حتى تحكى زنزاناته تاريخ التعذيب للمعتقلين السياسيين منذ أيام الفراعنة حتى وقتنا الحالى بالصوت والصورة. وأوضح أنه تم استكمال رسومات المشروع كاملة من انشائية وخدمية من كهرباء وصرف وحتى الترميم وتم اعتمادها من قبل المجلس الأعلى للآثار بميزانية قدرها حوالى ٥ ملايين جنيه. ومع الأسف توقف العمل بلا أية إنذارات عند حد الرسومات التنفيذية. ويؤكد الدكتور محمد أن تغير القيادات داخل المجلس أفقد المشروع أهمية. «ولم يعد أحد يتبنى مبادرة لاستكمال مشروع سجن القلعة» كما يقول، مشيراً إلى أن كل قيادة تأتى بمشروعاتها ولا تنظر للمشروعات القائمة بالفعل. إن المجلس استعان بالمركز للتدخل السريع فى حالة انهيار أى جزء أو حتى للتدخل الهندسى بشكل مؤقت فقط . دون محاولة اتمام أية حلول كاملة ودائمة للمشكلات التى تواجههم.

مركز للإبداع

أما المشروع الثانى فقد انطلقت فكرته فى عام ٢٠٠١ . عندما قام عشرون من شباب المعماريين بإعداد معرض لفن العمارة داخل الساحة الخلفية لسجن القلعة على هامش مهرجان الموسيقى والغناء. وقتها تحمس فاروق حسنى وزير الثقافة لمشروع متحف سجن القلعة لدى زيارته للمكان. وبالفعل قام المعماريان حمدى سطوحى وهانى ماهر بتصميم مشروع تطوير وتحويل السجن إلى مركز للإبداع والفنون بعد عام ونصف العام من المعرض المعمارى. وقاما بطرح التصور على مدير صندوق التنمية الثقافية صلاح شقوير وقتها. والذى كان مسئولاً عن مشروع تطوير منطقة آثار القلعة بأكملها. ويؤكدان أن الفكرة تقوم على أن يتحول السجن إلى مركز تنطلق منه الحريات والأفكار والإبداع تحت شعار «نستطيع أن نعبر أن نبدع وأن نتحرر من جميع القيود..».

ويوضحان أنهما وجدا المساحة (حوالى ١٨٠٠ متر مربع تسمح بإقامة مركز متكامل للإبداع عن طريق استغلال الفراغات المفتوحة، خاصة وأن السجن يضم حوالى ٤٤ زنزانة وملحق به مبنى متهدم.

ويستعرض المعماريان حمدى وهانى مشروعهما بأنه يوظف الزنزانات كمتحف تاريخى وتوثيقى لفترة زمنية طويلة . كما يكشف عن حياة أشهر الشخصيات التى دخلت مثل محمد حسنين هيكل ومصطفى وعلى أمين وعمر التلمسانى والشيخ كشك والرئيس الراحل أنور السادات. ويشير إلى أن فكرة إقامة ورش عمل داخل الزنزانات الأكبر حجما ، وتحويل عدد منها لأتيليهات للفنانين وإقامة مركز للإبداع بالدور الأرضى وقاعة للمحاضرات، يرسخ فكرة الحرية ويقضى على عهود القهر والاعتقال. وأوضحا أن متحف السجن سيضم أيضاً مركزاً لفنون العمارة وتماثيل لأشهر فنانيى المعمار فى مصر أمثال حسن فتحى وجمال السجينى وسيف وأدهم وانلى. علماً بأن الميزانية المطروحة وقتها للمشروع ككل لم تتعد ٣ ملايين جنيه. وكان سيستغرق ١٦ شهراً فى العمل فقط. ومع ذلك واجهتها العراقيل داخل متاهات المجلس الأعلى للآثار بالرغم - كما يؤكدان- أن وزير الثقافة وافق على التصور وطالب بضرورة سرعة التنفيذ وأصدر أوامره للدكتور زاهى حواس بإنجاز مركز الإبداع بسجن القلعة، وطالب بتسهيل كافة العراقيل. ولكن الأمر توقف عند عتبة مكتب رئيس قطاع المشروعات وظل كذلك دون ابداء أية أسباب أو مبرر حقيقى.

ومع الأسف حتى اليوم لم تعد القضية مجرد قضية تصميم هندسى أو كيف يمكن اعادة استخدام المكان ذلك سواء كجزء من متحف الشرطة أو حتى كمتحف لسجن سياسى أو مركز للإبداع والفنون . لكن القضية أكبر من ذلك بكثير، فمن الذى يتخذ قرار تفعيل مشروع سجن القلعة؟؟ ولا نعلم لصالح من ذلك التخبط

د. محمد عبد الباقى

أستاذ التخطيط المعمارى بهندسة عين شمس ومصممى المشروع الأول

حمدى سطوحي

أحد مصممى المشروع الثانى

المعمارى هانى ماهر

أحد مصممى المشروع الثانى الذى تحمس له فاروق حسنى